



الأنا الوجودي المتفلسف في المتن الروائي عند سعد محمد رحيم

الأنا الوجودي المتفلسف في المتن الروائي عند سعد محمد رحيم

م. م. سامان إبراهيم سمايل

قسم اللغة العربية وآدابها/ فاكليتي التربية الأساسية/ جامعة سوران/ العراق

saman.smail@soran.edu.iq

أ. د. عبدالله بيرم يونس

قسم اللغة العربية وآدابها/ فاكليتي الآداب/ جامعة سوران/ العراق

abdullah.younus@soran.edu.iq

الكلمات المفتاحية: الأنا، الفلسفة الوجودية، روايات الروائي، الكاتب والروائي سعد محمد رحيم.

كيفية اقتباس البحث

سمايل، سامان إبراهيم ، عبدالله بيرم يونس ، الأنا الوجودي المتفلسف في المتن الروائي عند سعد محمد رحيم، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، تشرين الأول ٢٠٢٦، المجلد: ١٦، العدد: ١٠ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

Registered مسجلة في

ROAD

Indexed مفهولة في

IASJ

The Existential Philosophical Self in the Fictional Discourse of Saad Mohammed Rahim

Dr. Abdullah Bayram Younus

Department of Arabic Language/Faculty of Arts / Soran university/ Iraq

Saman Ibrahim Smail

Soran / Faculty of Basic Education /Department of Arabic Language
Iraq/university

Keywords : The Self (Ego), Existential Philosophy, Novels by the Novelist, Writer and Novelist Saad Muhammad Rahim.

How To Cite This Article

Younus, Abdullah Bayram , Saman Ibrahim Smail, The Existential Philosophical Self in the Fictional Discourse of Saad Mohammed Rahim ,Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, October 2026,Volume:16, Issue 10.



This is an open access article under the CC BY-NC-ND license
(<http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/>)

[This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.](#)

Abstract

Philosophy, in its various forms and diverse approaches, is prominently and intensely present in postmodern novels, with existentialism being among its most notable manifestations. This philosophy appears on the lips of intellectually engaged and insightful characters, aware of their own nature, the world, and society. These characters reflect a profound understanding of the transformations that have occurred in humanity, the universe, and social structures in the postmodern era. These transformations have contributed to the emergence of numerous philosophical ideas and concepts, foremost among them existential questions, which have become an integral part of the narrative discourse of these characters. This reflects the novelist's conscious endeavor to crystallize and artistically represent these ideas within the text.

Based on this premise, this study examines existential philosophical questions and ideas in the novels of the Iraqi novelist Saad Muhammad Rahim. These novels are characterized, on the one hand, by the striking presence of intellectually engaged characters, and on the other hand, by these characters' preoccupation with posing and raising existential questions. The nature of the study necessitated that the research plan be structured into two main sections: the first section was dedicated to the theoretical aspect, focusing on relevant concepts and cognitive frameworks, while the second section dealt with applying those hypotheses and questions to the narrative text of the studied author. This was followed by a conclusion that included the most prominent findings of the research, and then a list of sources and references.

المستخلص:

تتجلى الفلسفة بمظاهرها المختلفة وطروحاتها المتعددة حضوراً بارزاً ومكثفاً في روايات ما بعد الحداثة، ومن بين أبرز تجلياتها الفلسفة الوجودية؛ إذ تظهر هذه الفلسفة على ألسنة الشخصيات الروائية المثقفة والمستبصرة بالذات والعالم والمجتمع، تلك الشخصيات التي تعكس وعياً عميقاً بالتحويلات التي طرأت على الإنسان والعالم والمجتمع في عصر ما بعد الحداثة، وقد أسهمت هذه التحويلات في بروز العديد من الأفكار والتصورات الفلسفية، وفي مقدمتها الأسئلة الوجودية التي باتت تشكل جزءاً من الخطاب السردى للشخصيات الروائية، في سعي الروائي الواعي إلى بلورة هذه الطروحات وتمثيلها فنياً داخل النص.

وانطلاقاً من ذلك، جاءت هذه الدراسة لتبحث في الأسئلة والأفكار الفلسفية الوجودية في روايات الروائي العراقي سعد محمد رحيم، بوصفها نصوصاً روائية تنتمي، من جهة، بحضور لافت للشخصيات المثقفة، ومن جهة أخرى، بانشغال هذه الشخصيات بطرح التساؤلات الوجودية وإثارها، وقد اقتضت طبيعة الدراسة أن تُبنى خطة البحث على قسمين رئيسيين: خُصص القسم الأول للجانب النظري، مع التركيز على المفاهيم والأطر المعرفية ذات الصلة، في حين عُني القسم الثاني بتطبيق تلك الفرضيات والتساؤلات على المتن الروائي للكاتب المدروس، ثم أعقبت ذلك خاتمة تضمنت أبرز النتائج التي توصل إليها الدراسة، وأخيراً قائمة المصادر والمراجع.

١. المقدمة

يُعدّ الأدب بشكل عام، من أبرز الحقول التي تتجلى فيها التساؤلات الوجودية بصورة واضحة، وهذه الحالة تزداد عمقاً وترسخاً في فنّ الرواية بشكل خاص، ولا سيما في الروايات التي كُتبت في ظلّ عصر ما بعد الحداثة، متأثرةً بالعامل الثقافي والفكري التأملّي المرتبط بالروائي.

الأنا الوجودي المتفلسف في المتن الروائي عند سعد محمد رحيم

إذاً، فالرواية هي الفضاء الأرحب لتناول القضايا الفكرية والفلسفية، ومنح الإنسان وقضاياها ومآزقه الوجودية حيّزاً واسعاً من الاهتمام، فضلاً عن تجسيدها للوعي والثقافة، وسعيها إلى إثارة الأسئلة الفكرية والوجودية العميقة المتصلة بجذوى وجود الإنسان، كما تسلّط على الإشكاليات الوجودية الكبرى التي هيمنت حضورها على الحياة البشرية، من خلال إبراز التناقضات الوجودية التي تتعلّق بالسرديات الكبرى، من مثل: الحياة والموت، والظلم والعدل، والحرية والاضطهاد، إلى جانب قضايا فلسفية ووجودية أخرى.

في روايات الكاتب العراقي الراحل سعد محمد رحيم، نلاحظ، في ظلّ تأثير فلسفة ما بعد الحداثة، رسوخ ملامح الفلسفة الوجودية عبر جملة من القضايا والطروحات والفرضيات والتساؤلات المتعلقة بالإنسان المعاصر، وأزماته، ونزوعاته، ومصيره الغامض في ظل تلك التغيرات والأزمات، كما تتجسد هذه الملامح من خلال ما يتّقل على الشخصيات من حالات التردد والشكّ، ومن انعكاسات تزدّي الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية في ظلّ الحروب والمآسي التي عصفت بالمجتمع العراقي، وتبرز كذلك في بلورة صراع الأنا/ الذات مع نفسها، ومع مجتمعتها، ومع العالم من حولها، والبحث عن هويتها الضائعة، وما يرافق ذلك من محاولات الهروب والنفور من الواقع، فضلاً عن حضور العبث، والتشاؤم، والاغتراب، والصراع النفسي، والأزمات الوجودية عند الشخصيات الروائية.

إضافةً إلى ما سبق، فإن الروائي المدّروس من خلال رواياته، قدّم صور حساسة وجوهرية عن المجتمع العراقي قبل الحروب وأثنائها وبعدها، وتقصي الفوضى والدمار والقتل والخراب، كما يكشف عن صراع الأنا/ الذات المثقفة مع التقاليد والعادات الموروثة.

ومن هنا، عبر هذه المقاربة البحثية، نسعى إلى تقصي مدى تأثير الفلسفة الوجودية وتغلغلها في الشخصيات الروائية، وذلك عبر النصوص المختارة من روايات الكاتب المدّروس.

٢. الجانب النظري:

٢.١. المفهوم والإجراء

الأنا/ الذات: الأفراد والتعدد أو أنواع الأنا

تتجسّد في روايات الروائي (سعد محمد رحيم) تعددية (الأنا/ الذات)؛ إذ يسعى الروائي مباشرةً أحياناً، أو عن طريق صوت الراوي أحياناً أخرى، إلى إيصال الرسالة التي يودّ طرحها، ويشارك القارئ أو المتلقي في النص السردية، بوصفها تقنية من تقنيات ما بعد الحداثة، والتي تُعرف بـ(ميثا سرد)، أو الرواية داخل الرواية.

ومن خلال دراستنا لروايات الروائي، نجد أننا أمام أنواع عديدة من هذه (الذات/ الأنا)، منها:



١.١. ٢ الأنا/ الذات:

هناك علاقة وثيقة وراسخة وعميقة بين كل من (الأنا/ الذات) وطرح التساؤلات الوجودية والفلسفية، فالذات/ الأنا الواعية والمفكرة والقلقة والمتأملّة في عصر ما بعد الحداثة ولا سيما في مرحلتي الاستعمار وما بعد الاستعمار، ووجدت نفسها أمام واقع مضطرب ومأساوي، ونتيجة الأحداث التي طغت والحروب التي وقعت، أسهمت كل هذه التحولات في حدوث نوع من انشطار للأنا وتصدّع للذات، الأمر الذي دفع الإنسان إلى إثارة تلك التساؤلات الوجودية وطرح القضايا الفكرية التي تحاول تفسير العالم والعلاقة مع المحيط والآخرين وفهم مصيره. إن الأنا (Ego)، على مستوى المعنى الوجودي، يُطلق على "جوهر حقيقي ثابت يحمل الأعراض التي يتألف منها الشعور الواقعي، سواء كانت هذه الأعراض موجودة معاً أو متعاقبة، فهو إذن مفارق للاحساسات والعواطف والأفكار، لا يتبدل بتبدلها ولا يتغير بتغيرها" (جميل صليبا، ١٩٨٢: ١٤٠).

وهو المركز الإنساني الذي يجسّد العاطفة والمشاعر، مقابل العالم المحيط به، وهو "الذات التي ترد إليها أفعال الشعور جميعها وجدانية كانت أو عقلية أو إرادية، وهو دائماً واحد ومطابق لنفسه وليس من اليسير فصله عن أعراضه. ويقابل الآخر والعالم الخارجي، ويحاول فرض نفسه على الآخرين. وهو أساس الحساب والمسئولية" (مراد وهبه، ٢٠٠٧: ٩٥). والذات الناطقة والمدرّكة والمستبصرة تسعى لتعطّش وجودها، والعملية تسمى بـ"الظمأ الانطولوجي للمقدس) يعني افتقار الشخص البشري إلى ما يُثري وجوده، ويكرّس كينونته، ويمنحه وقوداً لحياته، حيث تقتصر حياته لوقود يحركها، ويشبع حاجته لمعرفة معنى لحياته، ويكشف له عن سر الحياة، ويعزز قدراته، بالمستوى الذي يجعله قادراً على التغلب على مشكلة الوجود البشري في هذا العالم ... يحتاج حياة كل كائن بشري، بوصف هذا الكائن يتعطّش للامتلاء بالوجود، كي يتخلص من الهشاشة، ويجعل حياته ممكنة في هذا العالم الغارق بالآلام والأوجاع" (عبدالجبار الرفاعي، ٢٠١٦: ١٥٤-١٥٥).

٢.٢. ١ الفلسفة الوجودية:

وتعدّ الوجودية بأنها حاجة إنسانية ملحة للنظر إلى الذات والحياة والعمل والمصير وتفسير الاغتراب ومصير الإنسان في الكون، فقد ظهرت بعد الحروب التي وقعت على الإنسان في العالم، وبعد أن قوضت آمال الإنسان وتطلعاته نحو مستقبل مشرق، وعدم تحقيق السعادة المنشودة له؛ ذلك لأن هذه الحروب وما جرّته من بلايا لا توصف، وما خلفته من ضحايا وكوارث وأهوال أصابت البشرية كلها بالدمار والخراب، وجو الخوف والرعب والفرق والقلق الذي

الأنا الوجودي المتفلسف في المتن الروائي عند سعد محمد رحيم

خلق الأفئدة، والشعور بنوع من الانهيار والضياع لكافة القيم والمثل الذي صبغ حياة الإنسان خلال عدة أعوام تعد من أحلك الأعوام التي عرفتتها البشرية على الإطلاق (علي حنفي محمود، ١٩٩٦: ٥).

ومن الصواب القول، إنَّ الفلاسفة الوجوديين بذلوا جهداً فكرياً مكثفاً لمعالجة قضايا إنسانية كبرى تتصل بوجود الإنسان منذ لحظة ولادته حتى فناءه وعودته إلى العدم، ولاسيما في ظلِّ الواقع القاسي الذي فُرض على الإنسانية بعد الحروب وما خلّفته من دمار، ففي مثل هذا المناخ المأزوم يجد الإنسان نفسه كأنّه يعيش في فجوات الوجود وتصدّعاته، الأمر الذي يدفعه إلى السعي نحو بلورة تلك القضايا المصيرية العميقة والتأمل فيها بحثاً عن معنى لوجوده ومصيره، ومن تلك "الموضوعات السائدة عند جميع الفلاسفة الوجوديين هي موضوعات، مثل: الحرية، واتخاذ القرار، والمسؤولية ... وهناك مجموعة أخرى من الموضوعات التي تتكرر لدى الوجوديين، من بينها: التناهي، والاثم، والاغتراب، واليأس، والموت، وهي موضوعات لم تناقشها الفلسفة التقليدية بأسهاب، في حين تعالج بالتفصيل عند الوجوديين" (جون ماكوري، ١٩٨٦: ١٥-١٦).

وتطلّ الفلسفة الوجودية على تماسٍ مباشر مع الإنسان، على الرغم من اختلافها عن غيرها من الفلسفات الغربية في نظرتها إلى الإنسان وطريقة تعاملها مع علاقته بالعالم وبالأخرين؛ إذ إنها تتناول الكائن البشري وفق تصوّرها الخاص، بوصفه كائناً واعياً بوجوده، منشغلاً بأسئلته المصيرية، وساعياً إلى فهم ذاته واغترابه في هذا العالم؛ إذ "يحاول الإنسان أن يكتشف ما هو عليه، وما يجعله كإنسان مختلف عن الكائنات الأخرى، ومكانه في العالم، لكن الوجودية ليست معنية بالإنسان بعمامة، وإنما بالإنسان في فرديته العينية، وهي تدرك إلى حد كبير العالم والبشر الآخرين، لكن العالم بوصفه ((كوناً))... Universe لا يعينها" (جاك شورون، ١٩٨٤: ٢٥٤). والنصوص الأدبية للروائي سعد محمد رحيم تدخل ضمن النصوص التي كُتبت وفق الأسلوب والكتابة ما بعد الحداثيّة، على صعيد الأساليب والتقنيات المستخدمة والرؤى والأفكار والتوظيف والجمال والتناص وما وراء السرد والرواية داخل الرواية، فنصوصه نابعة من الأفكار الفلسفية والوجودية التي تعكس قضايا الوجود والهوية والصراع الداخلي؛ بل تغمر في مشواره الروائي، فلا نكاد نعثر على رواية من رواياته خالية من الأسئلة الوجودية العميقة والمصدومة، مما يرمز لصراع الإنسان مع غموض مصيره، والبحث عن المعاني، وكذلك في روايات الروائي، نلاحظ قدرة فائقة ووافرة على مستوى المعرفة، والوسائل الجذابة في صبر أغوار الذات العراقي والعالمي.



٢. ٢. ٢ روايات الروائي سعد محمد رحيم

يُعدّ الكاتب والروائي العراقي الراحل سعد محمد رحيم واحداً من الأسماء الزاخرة بالعطاء والإبداع في المشهد الأدبي العراقي، إذ تجلّى حضوره بوضوح في مجالات متنوعة كالصحافة والقصة والرواية، وترك نتاجاً سردياً زاخراً وغنياً ومتنوعاً، تمثل في سبع روايات:

١- رواية غسق الكراكي ٢٠٠٠م.

٢- رواية ترنيمة امرأة .. شفق البحر ٢٠١٢م.

٣- رواية مقتل بائع الكتب ٢٠١٦م.

٤- رواية ضلال جسد .. ضفاف الرغبة ٢٠١٧م.

٥- رواية لما تحطمت الجرة ٢٠١٨م.

٦- رواية فسحة للجنون ٢٠١٨م.

٧- رواية القطار إلى منزل هانا ٢٠١٨م.

٢. ٣. ٢ حياة الكاتب والروائي العراقي سعد محمد رحيم

يُعدّ الكاتب والروائي والصحافي المعروف سعد محمد رحيم واحداً من الأسماء الأدبية البارزة في المشهد الثقافي العراقي والعربي؛ إذ وُلِدَ في محافظة ديالى بالعراق سنة ١٩٥٧م، وتخرّج في كلية الإدارة والاقتصاد/ قسم الاقتصاد في الجامعة المستنصرية عام ١٩٨٠م، وبعد إتمام دراسته الجامعية، انخرط في ميداني التدريس والصحافة، فمارس العمل الصحافي وأسهم في نشر مقالاته وتحقيقاته في عدد من الصحف والدوريات العراقية والعربية، كما نُشرت كتاباته الأدبية والفكرية في مجلات وصحف ثقافية مرموقة، من بينها: الأقلام، الموقف الثقافي، الصدى، المسار، الرافد، أفكار، دبي الثقافية، الحياة، الزمان، المدى، السفير، فضلاً عن زاويته الأسبوعية في موقع الحوار المتمدن، وهو أيضاً عضو في إتحاد الأدباء والكتاب في العراق منذ سنة ١٩٨٧م.

أمّا على صعيد منجزه الإبداعي، فقد كان سعيد محمد رحيم غنياً بالعطاء في حقول القصة والرواية، وأسهم إسهاماً واضحاً في إثراء المكتبتين العراقية والعربية بأعمال سردية متميزة، ولم يقتصر عطاؤه على الإبداع السردى فحسب، بل أصدر عدداً من الكتب في مجالات الثقافة والنقد والفكر والسرد، الأمر الذي جعله من الكُتّاب الموسوعيين ذوي الحضور الفاعل، وقد نال خلال مسيرته الأدبية عدداً من الجوائز والتكريمات في مسابقات ثقافية وأدبية مختلفة، كما حظيت نتاجاته باهتمام واسع من قبل النقاد والباحثين والأدباء، فصدرت عنها دراسات نقدية

الأنا الوجودي المتفلسف في المتن الروائي عند سعد محمد رحيم

متعددة، وكرّست لها كذلك رسائل ماجستير وأطروحات دكتوراه، التي تناولت تجربته الإبداعية وتحلّل أبعادها الفنية والفكرية والثقافية.

بعد مسيرة حافلة بالعطاء الأدبي والثقافي، رحل الكاتب والناقد سعد محمد رحيم فجر اليوم الاثنين في عام ٢٠١٨، عن عمر ناهز ٦١ عام في أحد مستشفيات مدينة السليمانية، وذلك أثناء حضوره ومشاركته في مهرجان (كلاويث) الثقافي.

١. ١. ٣. الجانب التطبيقي:

ومن بين النصوص الروائية التي تجلّت فيها الأبعاد الوجودية والفلسفية، ولاسيما تلك التي ارتبطت بقضايا الإنسان المعاصر وهمومه وهواجسه، ما يرويه الراوي المشارك (محمد سعيد)، من تصوير للحالة التأملية والفلسفية والوجودية، التي تعتمل داخل الشخصية الرئيسية والأنا الوجودية (كمال)، وكذلك الحالة الموجودة من التجاذب والنفور بينها وبين الآخر الموجود في وعيه، فهي تسعى لفكّ هذه المعضلة عبر المناداة والصرخات المتكررة: "ما كان كمال يشعر بالسعادة، أو بالتعاسة، أو بالخوف، أو بالفرح، أو بالحزن، أو باليأس، كان كمال غاضباً فقط.

أكاد أراه، الآن، في احتدام غضبه، مع حدّ التوتر حيث يصبُّ التفكير والشعور والإحساس والرغبة في مجرى واحد، وحيد .. نحو غاية بعينها .. يُختزل الكون والحياة والوجود والمصير في ذات، وفي ما يهدّد هذه الذات ... شيان .. قطبان .. قطبان .. عنصران .. عالمان .. الـ (أنا)، والـ (آخر) الذي يسعى لإلغاء الـ (أنا)" (سعد محمد رحيم، ٢٠١٧: ٢١ / ١).

نشهد في النص الروائي المذكور على لسان الراوي (محمد سعيد)، التناقضات الوجودية والفلسفية، والاحتكاك والاحتدام بين الأنا والآخر، و"الآخر"، إذ يسعى لإزالة "الأنا" عن الوجود، والراوي سرد الأحداث اللاحقة عن زمن السرد، بمعنى سرد جزءاً من حياة الأنا/ الذات الوجودية والشخصية الرئيسية (كمال) مع استحضار السرد الآتي.

ومن البديهي، أنّ الراوي يسرد تلك الأحداث وفق السرد اللاحق لكي يعطي المعلومات عن الأنا والشخصية الرئيسية للمتلقي، وكذلك في آخر النص السردية يستخدم السرد اللاحق، أي التنبؤ السردية من قبل هذا الراوي عن مستقبل هذه الأنا/ الذات التي تعاني من خلال قطبين وجوديين مضطربين، ويسرد بصيغة المضارع الحاضر، فالأنا تحاول أن تثبت وجودها وتظهر لجميع العالم، والوعي السردية الداخلي هو الذي أعطى حالة من الإمساك للمتلقي.



هنا تبدو مظاهر الوجودية من خلال تصرف الأنا الوجودية (كمال)، وكلامها المحمل بأفكار الوجودية عبر الأخذ من الواقع الذي تعيشه، فهو يسرد أجواء القلق الوجودي المضطرب والمسيطر على الأنا/ الذات عند الشخصية الرئيسية (كمال).

ويتجلى في بداية النص الروائي المختار، حالة النفي عن الأحاسيس والمشاعر عند الأنا/ الذات الوجودية، رغم أن تلك الانعطافات أصلاً جزء رئيسي في عملية تكوين وبناء الإنسان، واتزان الإنسان مرتبط بتلك الأحاسيس والعواطف، والمسألة هنا متعلقة بأن الأنا/ الذات الوجودية لشدة الموقف وصل إلى فقدان الأحاسيس والمشاعر بالحياة، ولجأت نحو استخدام وسيلة (الغضب الوجودي)، و"الغضب بصفته ظاهرة وجودية كرد فعل انفعالي يوفر الطاقة اللازمة من أجل الصراع الذي يخوضه الشخص للحيلولة دون فقد القيم المهمة" (إيمي فان دوبرتسن، ٢٠٢٠: ٧).

كما يتضح الغضب بوصفه استجابة انفعالية يلجأ إليها الإنسان عند معاناته من العذاب، فيسعى من خلاله إلى التخفف من وطأة الألم ومحاولة الإفلات منه، ويطلق على "ارادة انتقام مصدرها شعور المرء بضرر، أو ألم، أو احتقار، أو إهانة ألحقها به غيره" (جميل صليبا، ١٩٨٢: ١٢٨).

وفي هذا الإطار، الراوي يسرد الحالات والمواقف لـ (كمال) في الماضي، حينما يعجز عن الواقع والسيطرة وأمام الآخرين، ولا يتوقف عند هذه النقطة؛ بل يستحضر السرد الآتي حينما قال: "أكاد أراه، الآن"، والفعل المضارع هو المسيطر على أجواء النص، والذي يدل على الحيوية والاستمرار والتجدد، كما أن في أغلب النصوص الروائية للروائي نجد مشاركة القارئ والمتلقي مع الراوي "أكاد أراه، الآن"، فالمتلقي ليس غائباً أو مبتعداً من أجواء النص، وإنما هو منغمس مشارك، وجزء من عملية السرد والتفسير والتجميع.

فالأنا/ الذات الوجودية تخطو خطوات، حينما كانت في القديم تعبر عن الأحاسيس والمواقف عبر (الغضب)، والآن تحاول تصعيد غضبها، وهذه الحالة مصاحبة مع القلق والتوتر، والمرافق مع الأسئلة الوجودية التي تراود في ذهنها وتفكيرها، وكل ذلك تنتجها العزلة في الحياة، فهي اختارت الوحدة والعزلة، ومع ذلك تتجه نحو تحديد المغزى والقصد، فالآن نتيجة المواقف التي مرت بها الأنا، تصل إلى قمة نزوعها وصراعها واشتداد الاحتكاك عبر الاختزال، وهذه الحالة أدت بها إلى أن "يُختزل الكون والحياة والوجود والمصير في ذات"، فالأنا/ الذات الآن هي المنبع الذي يختزن ويحتوي معاني الكون والحياة والوجود والمصير، فالأنا هنا، أنا الواعية والمفكرة والمقررة والمدركة، والحالة المختزلة هي بمثابة قوة الدفاع أمام الآخرين، فالوجودية في

الأنا الوجودي المتفلسف في المتن الروائي عند سعد محمد رحيم

أبسط تعريفها، هي "تلك النزعة التي تعلق أكبر قسط من الأهمية على وجود الفرد في الكون وعلى صفاته الجوهرية" (مجدي وهبه وكامل المهندس، ١٩٨٤: ٤٣١).

بينما الأنا/ الذات، رغم موقعها المتميز والمختزن والمحتوى للوجودية، فهي تبحث عن ذاتها وهويتها المتشظية، لذا لا تبقى على موقعها، وإنما تتجه نحو الانشطار والانقسام والانحلال، "شيان .. قطبان .. قطبان .. عنصران .. عالمان .. ال (أنا)، وال (آخر)"، فالأنا هنا تحتوي عالمان، عالم ملصق بالأنا نفسها، وعالم مرتبط بالآخر، رغم أن هذا الآخر في موقف مفارق مع الأنا، فهذا الآخر يسعى أصلاً لإلغاء الأنا وإزالتها أو احتوائها رغماً عنها، كما أن هذا التكرار يدل على حالة التشدد الفكري والعاطفي والوجودي عند الأنا/ الذات، وفي سياق ما بعد الحداثة، ولا سيما في ظلّ الاحتلال وتداعيات الاستعمار وما بعده، تشهد هوية الإنسان تحولاً وانعداماً مستمراً، بل أصبحت عرضة للتبدل والتلاشي والضياع.

كما عمد الروائي من خلال شخصياته الروائية، إلى توظيف الأفكار الوجودية، وذلك لبيان مواقفها، ومشاركة المتلقي لكشف الدلالات وتأويل المعاني، ويتجلى ذلك بوضوح في تجربة الشخصية الرئيسة والأنا/ الذات الوجودية (كمال)، ضمن ما دون من الأوراق التي وجدها بين دفتي كتاب (ألف ليلة وليلة) بمجلده الثاني، وكانت مطوية، عن فلسفة الانتظار على لسان الراوي (محمد سعيد):

"انتظار ماذا وكيف؟ ولماذا هذا الحكم الجائر بالانتظار الأبدي؟ والمهم هو أن تنتظر وتساءل نفسك قبل أن تسأل الآخرين، وما الذي تنتظر؟ النار في الجذور.. النار أمامك، والزنبقة من بعض تجسّدات النار.. الزنبقة في الجهة الأخرى للحلم، والماء يجري غاضباً، مزبداً، ومحايداً جميلاً، ولكن محايداً.. قال لي الشهوة من نفس الشيطان فروّضها.. والشهوة دامية.. حريق آخر على نقطة ما في طريق الحرائق.. تطوّقتي وكأنها تقول من خلل تلك الذراعين البضتين تلاش أيها الأحمق، تلاش في.. قال لي؛ حذار، هناك النار الكبرى.. النار دائماً ونحن ننتظر.. قال لي من لا ينتظر. وفي النهاية ننتظر.. ننتظر الحقيقة الوحيدة غير القابلة للدحض، وغير القابلة للفهم.. ثلاثون سنة عاصفة، وعمي يشدّ جلدة الدف بحرارة النار، والأطفال يتحلقون حولها كالفراشات.. لماذا تحب الفراشات النار؟ أم أنها مرغمة، أم تراها تعود إلى الأصل؟. والزنبقة في الضفة الأخرى.. أقول إنها هو، كما أن مدام بوفاري هي فلوبيير.. والزنبقة.. من الزنبقة؟.. أأكون أنا؟ أنا؟ سؤال شائك، واخر، ومدوّخ، واقترح أن يأخذني إلى هناك.. إلى طقس آخر وعالم آخر يسير شؤونه بطريقة فريدة سرّاً ما. وعند ذاك الملتقى كانت النار كرة

أخرى.. اطفئ نار غيظك في درب المظلم الوعر. وتشدّك إليها كأنك المنقذ المنبعث من رماد الخطيئة نقياً بأفق انتظار مديد.. (سعد محمد رحيم، ٢٠١٧: ١/ ٦٦-٦٧).

في هذا النص، تبرز أولى الظواهر الفكرية والصراع الوجودي، الذي يتجسّد عبر (الانتظار) وفلسفته ضمن الأفق الوجودي، والتمنّع والمطاولّة عن معنى الحياة والهوية الضائعة والمنعدمة من خلال الوسيلة السردية المتمثلة بالمدونات والأوراق التي خلفت من الأنا/ الذات الوجودية، وهي التي كتبت في مونولوج داخلي بينها وبين الآخر الغائب.

والنص يبدأ باستهلال مباغت، حيث يتناول فلسفة الانتظار في الحياة، أي الاستمرار والصيرورة في هذه الحياة ومقاومة التحديات، وتحقيق الآمال والطموحات، وهناك فجوة من الانتظار يُراد لها التحقيق، ويعدّ القارئ الواعي في حالة من الاشتياق وجذب انتباهه منذ البداية عبر سرد مشوّق، وهذا التوسع السردى أعطى الجمالية للنص وأفكاراً جذّابة، رغم أن هناك حالة من التفاوت والمفارقة على مستوى النص.

كما أن النص السردى يقدّم أفكاراً فلسفية ووجودية متعلقة حول (الحب والراحة والالتقاء والزمن)، أي عبر أحاسيس متشّنة ومتفككة، واستخدام القوى الطبيعية والتناقضات الوجودية المتمثلة بـ(النار والماء)، والتي تمثّل وتدّل على أن تلك القوى المثيرة على تماس مع التجارب الإنسانية المعقدة، كما أن النص يقدّم رؤية وجودية تسعى إلى الديمومة والتحول، ورغم التحديات المحيطة بالإنسان، إلا أن هناك رغبة عنده للتجدد والتحول والتنقل، والبحث عن ذاته وهويته من خلال الآخر.

وسط هذا الواقع المأساوي والمنفلت، تسعى الأنا/ الذات لتثبيت ذاتها وموقعها وماهيتها، فأصلاً هدف الإنسان أو "الموجود أن يجد ذاته وسط الوجود" (عبدالرحمن بدوي، ١٩٨٠: ٢٨٥). ولا شك، أن الفلسفة قامت على الأسئلة، كما نجد في هذا النص، من مثل: "انتظار ماذا وكيف؟ ولماذا هذا الحكم الجائر بالانتظار الأبدي؟ والمهم هو أن تنتظر وتساءل نفسك قبل أن تسأل الآخرين، وما الذي تنتظر؟"، وفلسفة الانتظار هي جوهر فلسفة حياة الإنسان، فيبدو الإنسان لديه حالة من الانتظار والاشتياق للوصول إلى الخلاص من التراكمات.

كما أن وجود تلك التساؤلات حول العبث والزنبقة والأنا/ الذات، تدلّ على أن النص في صميم التجربة الوجودية، والوظيفة السردية تكمن حول الأنا ومصير الإنسان المعاصر رغم هذا الفوضى والتوازي الداخلي في ظل التناقضات الوجودية، كما نلاحظ أن الأنا/ الذات الوجودية تطلق التساؤلات من طرفها دون انتظار الإجابات والاستفسارات من الطرف الآخر، "تسأل نفسك قبل أن تسأل الآخرين"، فهذا الوعي يبدأ من الأنا/ الذات قبل الآخر أو الآخرين، فهي تريد أن

الأنا الوجودي المتفلسف في المتن الروائي عند سعد محمد رحيم

تصل إلى الإجابات لتلك التساؤلات الملغوزة من عمق ذاتها، بمعنى هي اختارت العزلة والاعتراب عن المجتمع والآخرين.

والنص السردي الوجودي، يجمع مفارقين من جهة ومتداخلين من جهة أخرى بين النار والزنبقة، فالنار "النار في الجذور.. النار أمامك.. النار الكبرى.. حرارة النار.. النار كرة أخرى ... حريق آخر على نقطة ما في طريق الحرائق.. تطوّقي"، وتكرار لفظ (النار) هنا، دلالة على حالتي الشك والقلق الوجودي عند الأنا/ الذات، كما أن النار هنا تشير إلى حالة العشق والاحتراق والألم والتوتر العاطفي، والفعل والحركة المستمرة عند الأنا/ الذات الوجودية، وهي تشتعل بإحساس الشوق والحب والحنين، ويزيدها احتراقاً بدلاً من الاخمد، بمعنى أن هذا العشق لا يطفأ بالزمن ولا يهدأ، بل في كل مكان، وتنتقل وتتحول، من النار إلى الحريق ثم إلى النار الكبرى.

كما أن نظرة الفناء والعدم وانتهاء الحياة، هي المسيطرة على أجواء النص الوجودية، "نتنظر الحقيقة الوحيدة غير القابلة للدحض، وغير القابلة للفهم"، رغم أن هذه اللحظة الحساسة هي مرهونة بالأسئلة والأسرار.

وحالة التضاد والاحتكاك الوجودي هي التي هيمنت أيضاً على النص، "وعمي يشدّ جلدة الدف حرارة النار، والأطفال يتحلقون حولها كالفرشاشات.. لماذا تحب الفرشاشات النار؟ أم أنها مرغمة، أم تراها تعود إلى الأصل؟"، فالأنا/ الذات مستاءة من حال الموجودات والكائنات، بدءاً بالإنسان ومروراً بالكائنات الأخرى، رغم أن النار مصدر الدمار والحريق والآلام والأوجاع والموت والإزالة، إلا أن تلك الموجودات تستخدمها مصدراً للثبات والبقاء والحياة، وثيمة من ثيمات الراحة والهناء والسكينة، كما أن النار هنا تدلّ على أن هناك حركة والصراع والتوتر والقلق المستمر، وهذه الحالات هي التي تحدد مصدر الوجود الإنساني، بل الأنا/ الذات الواعية هي التي تتفكر وتتأمل في النار من جهة، ومصدراً للخلاص والطهارة من جهة أخرى، وهذه النار "التي يحتويها الموقد، كانت بالنسبة إلى الإنسان، الموضوع الأول لهاجسه، ورمزاً لراحته، ودعوة لاستجمامه. ولا يمكننا أبداً أن نفهم فلسفة عن الاستجمام بدون هذا الهاجس أمام الحطب الملتهب ... والنار تجلب الدفء والسلوى، لكننا لا نشعر بهذه السلوى إلا في نطاق التأمل الطويل بعض الشيء، والهناء لا نلقاها من النار إلا إذا اعتمدنا مرافقنا على ركبنا ورؤوسنا بين أيدينا. إن هذه الجلسة آتية من بعيد" (غاستون بشلار، ١٩٨٤: ١٨).

قال لي؛ حذار، هناك النار الكبرى.. النار دائماً ونحن ننتظر.. قال لي من لا ينتظر. وفي النهاية ننتظر...، وكذلك، "وعند ذاك الملتقي كانت النار كرة أخرى.. اطفئ نار غيظك في درب المظلم الوعر. وتشدّك إليها كأنك المنقذ المنبعث من رماد الخطيئة نقياً بأفق انتظار



مديد.."، فمهما حاول الإنسان أن يلفت من النار والهروب منها فهو لا يستطيع، فالنار مرتبط بالضرورة الزمنية لحياة الإنسان والتحول والتنقل والتجدد والحيوية، بدلاً من التوقف في نقطة متحيرة، بحيث "النار عند من يتأملها مثال على الصيرورة العاجلة، ومثال على الصيرورة الآجلة. وهي أقل رتابة وأقل تجريداً من الماء الجاري ... وهي توحى بالرغبة في التغيير والإسراع بالزمن والبلوغ بالحياة إلى خاتمتها، وإلى ما بعد خاتمتها. فلها جس، إذن، قدرة على الاستحواز وقوة دراماتية، فهو يوسع مصير الإنسان، ويعقد الصلة بين الصغير والكبير، بين الموقد والبركان، بين حياة الحطبة وحياة العالم. والمفتون يصغى إلى نداء المحرقة وعنده أن التخريب أكثر من تغيير، إنه تجديد" (غاستون بشلار، ١٩٨٤: ١٩).

إن الأنا/ الذات الوجودية تلجأ إلى النار كملاذ آمن، وتصف الماء الذي يجري بأنها ملتهبة، "والماء يجري غاضباً، مزبداً، ومحايداً جميلاً، ولكن محايداً"، والأنا/ الذات الوجودية تسعى إلى خلق حالة من التساوي السردي بين العواطف المتأججة والحارقة والمتمثلة بـ"النار"، وبين "الماء" المتمثل بالتجدد والصفاء، أي الحياة والعشق لا تتوقفا في نقطة معينة، بل من أشد الحالات الحارة نحو ماء الهدوء النفسي.

وفي المقابل هناك (الزنبقة) وهي تقع تضاداً مع (النار)، إذا كانت النظرة إلى النار بأنها مصدر الألم، رغم أن منبعها من النار، من خلال "والزنبقة من بعض تجسّدات النار.. الزنبقة في الجهة الأخرى للحلم.. والزنبقة.. من الزنبقة؟"، والوعي السردي المهيمن والمثير هنا عند الراوي المشارك (محمد سعيد) يتجلى في شدة التكرار والتساؤل، "أتكون أنا؟ أنا؟"، فهي تشير بأن الأنا/ الذات الوجودية تتشبه حالها مع (الزنبقة)، ومن خلالها هي تبحث عن ذاتها وجوهرها وموقعها وهويتها المنعدمة، والزنبقة تعطي البهاء والحلم والخلاص لـ(الأنا/ الذات)، رغم أنها قلقلة إلا أنها تتسم بالسمو الروحي والجمال، فهي تشير بذاتها أن هذه الأسئلة الوجودية هي أسئلة حساسة ومثيرة وشائكة "سؤال شائك، واخز، ومدوّخ"، تحتاج إلى التفسير والتعمق والتأمل.

وعلى واقع الاستخدام الوجودي، نجد أن الراوي (محمد سعيد) على لسان الروائي يستخدم هذه الكلمة تناصاً مع عنوان لكتاب الفيلسوف الوجودي الدنماركي (سورن كيركغورد)، والذي بعنوان (الزنبق في الحقل والطير تحت السماء)، ويشير الكتاب إلى قضية وجود الإنسان، والقلق الوجودي، وكذلك الإشكاليات الوجودية التي تقع صوب الإنسان.

والأنا/ الذات، هي التي تشير بأن الآخر الغائب هو الذي اقترح لي أن تتقذني من هذا العالم المأساوي والواقع الفوضوي نحو عالم آخر ومغاير، "واقترح أن يأخذني إلى هناك.. إلى طقس آخر وعالم آخر يسير شؤونه بطريقة فريدة سرّ ما".

الأنا الوجودي المتفلسف في المتن الروائي عند سعد محمد رحيم

وفي موقع آخر، نلاحظ مظاهر الوجودية عند الأنا الكاتبة والشخصية الرئيسة (كمال)، كما يذكر الراوي الأول ابن عمّه (محمد سعيد)، محاولاً استجلاء أبعادها النفسية والفكرية، إذ يقول:

"وأنا أعرض حكاية كمال مع هذا العالم أجدي إزاء الأسئلة الوجودية الصارخة؛ أسئلة الذات، والحياة، والحرية، والآخرين، والغربة، والمصير، والموت.

من وما الذي كان يرسم قدر كمال؟ ولماذا اختار أن يقذف قنابله بدل أن يرفع يديه ليضمن العودة سالماً في يوم ما؟.

ما كان كمال يائساً في أي وقت، على الرغم من محطاته المريعة كلها. وما كان متهوراً حد التورط في مغامرة غير محسوبة.

أتراه اختار، في لحظة صافية، وبوعي في ذروة صحوه، أن يكون حرّاً، عارفاً أنه حرّ، وعارفاً، أيضاً، ماذا يصنع بهذه الحرية؟. أليست الحرية، في نهاية المطاف، هي أن تقرّر أنت مصيرك بشجاعة؟" (سعد محمد رحيم، ٢٠١٧: ٢٥١ / ١).

تسعى (الأنا/ الذات) في هذا النص لاستكشاف الهوية المفككة نتيجة سيطرة الخطاب الاستعماري وخلفياته وتابعة تلك الشعوب المستعمرة، ويبدو أن القوة السردية هي المتمركزة حول ذاكرة الراوي واسترجاع الذكريات والأحداث التي مرّت بالشخصية، كما أن اللعبة السردية في التحولات من الذات نحو الآخرين من خلال مواجهة الواقع المفروض، وطرح تلك التساؤلات تؤدي إلى فتح نطاق حول التفكير الفلسفي فيما يتعلق بقضيتي الحياة والموت، إضافة إلى أن النص السردية يبدأ من طرح أسئلة وجودية وفلسفية عميقة، إلى وعي تحرري نحو تحديد مصير الإنسان، بمعنى الوظيفة السردية تكمن حول حرية الإنسان كحاضنة للبقاء في الوجود، كما أنها تلجأ للنص السردية كوسيلة للمقاومة عبر الكلمة.

كما تبرز في هذا النص أهمية الأنا الواعية وعزلتها وفردانيته، والتبئير السردية عندها في الذروة أمام تلك الظروف الوجودية، وفي عصر ما بعد الحداثة الذي يمثل حاضنة لـ (سرديات ما بعد الكلاسيكية)، فالعالم يمرّ بأوضاع مأساوية من حروب ودمار وخراب، وهذه الحالة تلقي بظلالها على الحالة النفسية والاجتماعية للإنسان عامة، والمتقف المفكر خاصة، لذلك نجد أن الأديب (الروائي) يواجه الصعوبة لتجاوز الفوضى والعبث والغياب عن هذا العالم، رغم ذلك، لا يتوقف مكتوف الأيدي عن العطاء والإبداع والجمال والمتعة أمام هذا العالم المأساوي.

وبالقراءة الفاحصة للنص، نلاحظ أن الأنا/ الذات هنا، تعيش حالة من القلق والتردد والمفارقة، فالاختيار لسوء المعتقد والحرية هما متضادان، والأول ضد الثاني أو عكسه، فعذاب الاضطرار

نحو هذا الاختيار وتشبيح نفسه من الحرية، واختيار الملجأ للهروب والانقاذ من سطوة الواقع المفروض، كل ذلك دلالة عن الحالة التي عاشتها الشخصية في ظل الواقع المأزوم.

ومن المفارقة أن الراوي العليم، بوصفه ابن عم الشخصية الرئيسية (كمال)، فقد نشأ وترعرع معه في المنزل نفسه، وتقاسما معاً مرحلة الطفولة والبدايات الجميلة، الأمر الذي جعله قريباً من أفكاره وثقافته ورؤيته للعالم والحياة والمصير والحرية، وحينما عاد إلى كتبه وما دونه بين صفحاتها من رسائل وهوامش وتعليقات (الوسائل السردية)، حاول من خلال تلك الشذرات والافتراضات أن يكشف العالم الداخلي لـ(كمال)، وأن يستبصر مساحات القلق والضيق التي تعتمل في ذاته، ومن خلال هذا التتبع، سعى الراوي إلى الغوص في أعماق التفسخ الداخلي في تلك التساؤلات المصيرية وتداعياتها، وفي الحلم بمستقبل أفضل، فضلاً عن إبراز الصراع النفسي والوجودي الذي تعيشه الذات وحالة التفكك التي تصيب الأنا/الذات، إضافةً إلى ذلك، يستعيد الماضي المثقل بالحروب والانتكاسات الشخصية والمآسي والتناقضات الفكرية والفلسفية، وصولاً إلى الحاضر القلق والفارغ، في محاولة لفهم كيفية تشكّل الذات وبناء وجودها وهويتها في مواجهة الواقع المضطرب، واستشراف أفق المستقبل الذي يحلم به، والتبشير السردى حافل بتلك الرؤى والفرضيات، والوظيفة السردية الأخيرة للانقاذ الوجودي عند الحرية.

وناهيك عن ذلك، فإن شخصية (كمال) مرّت في حياتها بتجارب ومعاناة عديدة، وعلى لسان الراوي، فإنه مثقف عاش حياةً معذّبة، وهو عسكري في الحرب العراقية، وفي ذهنه دائماً تلك الأسئلة والمخاوف من المحيط والآخرين، والبيئة والموت إلى أن استشهد في الحرب، وهو من خلال قراءاته المتنوعة والعميقة أصبح كاتباً ومثقفاً، كما سعى عبر مشروعه الثقافي أن يسلط الضوء على حالة الاعتزال والاغتراب النفسي وفقدان العدالة الاجتماعية واليأس والعجز أمام المشاهد الأليمة التي يمر بها يومياً الفرد العراقي.

وتلك الأسئلة والتناقضات الوجودية، هي التي أثّرت في شخصية (كمال)، في ظل هذا الواقع المأزوم، ووعيه الذاتي والجمعي هو مصدر نشوء تلك التساؤلات عنده من جهة، ومن جهة أخرى في ظل ما حدث من التغيرات والأحداث هو يسترسل في تلك الأسئلة للبحث عن وجوده ووجود غيره الإنساني وموقعه، وكذلك هويته المشتتة والمنفلتة دون أي إطار ثابت أو مستقر، مع أن (كمال) في أوجه وعيه الذاتي في اتخاذ القرار بالدفاع والصراع "وبوعي في ذروة صحوه"، أي هو يواجه أي حالة من خيبة أمله، حتى لو كانت الضريبة بالفقدان أو الفناء.

وهكذا، يبين هذا النص، أن (كمال) كأني شاب غلبت عليه الأسئلة الوجودية في ذهنه، ومن خلال تصويره لمعاناة الإنسان حاول الوصول إلى حلول تريح ذاته خاصة في أوقات الأزمات

الأنا الوجودي المتفلسف في المتن الروائي عند سعد محمد رحيم

كالمعارك والحروب، فنجد أن هذه الشخصية هي التي تبحث عن الأمل وإنقاذ النفس وسط الخراب والدمار، فهو رغم ما يمرُّ به في عالم مليء بالتحديات والصراع؛ إلا أنه متفائل بالحياة ولم يكن فاقداً للأمل في حياته المير.

وفي نهاية النص، نلاحظ أن الراوي من خلال كلامه، يلقي خطابه للقارئ ويكسر إيهامه السردية وحالته من الانتظار، متسائلاً: "أليست الحرية، في نهاية المطاف، هي أن تقرّر أنت مصيرك بشجاعة"، ولتعزيز صلة القارئ بالنص وجعلها أكثر عمقاً وتماسكاً، عمد الراوي إلى توظيف ضمير المتكلم وتفعيل الصوت السردية المباشر، فهذا الضمير "يلتصق بالعمل السردية ويتعلق به أكثر: متوهماً أن المؤلف، فعلاً، هو إحدى الشخصيات التي تنهض عليها الرواية" (عبدالملك مرتاض، ١٩٨٩: ١٥٩).

والتصور الوجودي ينعكس بشكل واضح في هذا النص، وتلك المسائل المرتبطة بكيفية تفكير الإنسان المثقف، أو مسألة الحرية في التفكير؛ لأن الحرية لها ارتباطات بالإنسان وبحياته، فحينما يكون الإنسان حراً، فإنه يتجه نحو التفكير والتعمق بتلك الأسئلة الجدلية والفلسفية؛ لأن الإنسان أصلاً "محكومٌ عليه بالحرية، محكومٌ عليه لأنه ليس هو من خلق نفسه في حين أنه مع ذلك يكون حراً، لأنه بمجرد ما يُلقى به في العالم يكون مسؤولاً عن كل ما يفعل. ولا يقرّ الوجودي بسلطان الانفعال. إنّه لن يتصور أبداً انفعالاً جميلاً قد يصبح سيلاً جارفاً يؤدي حتماً بالإنسان إلى أفعالٍ معينة يكون ذلك بمثابة العذر. إنّه يعتبر الإنسان مسؤولاً عن انفعاله" (جان بول سارتر، ٢٠١٢: ٤٣).

ونستخلص، أن الأنا الوجودية عبر وعيها الذاتي على لسان الراوي المشارك، عبّر عن الهموم والقضايا المشتركة للإنسانية، كما خاض في عرض التفاصيل الدقيقة والمشاركة لهموم الشخصيات الموجودة في المجتمع العراقي والغربي، والروائي هنا كان في حالة التفاعل مع تلك الشخصية، وعبر هذا النص حاول فيه ترميم الوعي الجمعي، والبحث عن إجابات لتلك الأسئلة الوجودية التي يطرحها الإنسان حين يمر بأزمات فعلية هنا أو هناك.

وفي نص آخر، يجسد لنا الروائي ملامح الأنا الوجودية والفلسفية والفكرية لدى إحدى شخصياته الروائية وهي شخصية (محمود المرزوق)، وهي أكثر الشخصيات الروائية التي تجسدت فيها الظواهر والأفكار الوجودية، إذ يقول على لسان هذه الشخصية وهي تتحدث عن أزمة الفكر الإنساني بعد الماركسية يقول:

"اقتربت من الماركسية كثيراً ولم أؤمن بالتنظيم، بالكفاح المسلح، بالحق والكفاح الطبقيين.. قلت لرفيق عراقي هارب مثلي، متأنق، متحذلق في براغ؛ لا أعتقد أن الصراع الطبقي هو



محرك التاريخ الآن.. ما يصنع التاريخ الآن ويحركه هو الآتي؛ الفاشيات والمافيات والعقائد الجامدة والمسمومة والتطرف والإعلام الديماغوجي والدعاية السياسية الخداعة والمصالح الفردية الضيقة.. غضب ووشى بي.. في التحقيق أنكرت هذا.. قلت صاحبي لم يفهم قصدي.. ما قصده هو أن الصراع الطبقي يتجلى ويعمل خفية من خلال الفاشيات والمافيات والعقائد الجامدة والمسمومة والتطرف والإعلام الديماغوجي والدعاية السياسية الخداعة والمصالح الفردية الضيقة.. ((سأفترض أن ما تدعيه هي الحقيقة، كن حذراً)). قال لي المحقق وهو يطوي أوراقه ويخفيها في حقيبة جلدية متقشرة ويدعني أخرج من بناية المخابرات" (سعد محمد رحيم، ٢٠١٩: ١٥٥-١٥٦).

من خلال هذا السرد، يتجلى لنا بشكل واضح أنّ شخصية (محمود المرزوق) المتمثلة بـ(الأنا/ الذات) المتحدثة، لم تكن فقط محور الأحداث، بل تميزت أيضاً بحضورها الفاعل والمميز داخل السرد، والمذكرات كانت الوسيلة السردية للتعرف على تصورات وأفكار هذه الشخصية الوجودية، كما نلاحظ سيطرة الصوت السردى من خلال الضمير المتكلم، وهناك تنوع في الضمائر على مستوى الرواية، إضافةً إلى هيمنة الصوت السردى المتمثل بالضمير المتكلم وهو الغالب والحاضر.

والأنا المتحدثة (محمود المرزوق) من خلال ما دوّن في مذكراتها، هي الأنا الواعية من جهة والمأزومة من جهة أخرى، فهي على دراية بمبادئ وأسس وأيديولوجية الماركسية . اللينينية، كما أن هذه الأنا/ الذات تعدّ بأنها "أبرز الشخصيات، التي تمثل الاتجاه الوجودي، في روايات سعد محمد رحيم شخصية محمود المرزوق، فهو تارةً يمثل الموقف المتقدم للوجوديين الذين يحسون بالضيق والعجز والإحباط والقلق، لا سيما في حديثه عن المفارقة بين الحلم والواقع عندما كان في باريس، وخيبة أمله الشديدة وشعوره بالإحباط" (أيثار ماجد صالح، ٢٠٢٣: ٦٤).

فقد أشار الروائي على لسان شخصيته المتقفة (محمود مرزوق) إلى مبدأ أساسي قامت عليه الماركسية وهو الصراع الطبقي بين فئات المجتمع؛ بين طبقة البرجوازيين (المالكة) وطبقة البروليتاريا (العاملين)، وهذا الصراع بين هاتين الطبقتين هو الذي أدى إلى التغيير والثورة في العديد من دول العالم آنذاك، فالطبقات المهمشة في المجتمع هي التي سعت لنيل حقوقها بشتى الوسائل والطرق.

إلا أن الصراع في زمن ما بعد الاستعمار (ما بعد الكولونيالية) اختلف؛ فإذا كان في القديم الصراع الطبقي بين البرجوازيين (المالكة) وطبقة البروليتاريا (العاملين) هو المحرك للتغيير والثورة، فإن هذا الصراع لم يعد له وجود ما بعد الكولونيالية، وإنما هناك فئات مغايرة هي التي

الأنا الوجودي المتفلسف في المتن الروائي عند سعد محمد رحيم

بدأت تتحكم بالعالم وتغيره نحو الفوضى والتشتت؛ وهذه الفئات هي التي ظهرت ما بعد الكولونيالية وهي فئات "الفاشيات والمافيات والعقائد الجامدة والمسمومة والتطرف والإعلام الديماغوجي والدعاية السياسية الخداعة والمصالح الفردية الضيقة...".

وقد أشار محمود المرزوق (بوصفه شخصية وجودية مثقفة) إلى حالة القلق والتشظي وعدم الالتزام الفكري والمبادئ التي يعيشها العالم جراء سيطرة تلك الفئات على الإعلام العالمي، وترويج أفكارهم من خلالها.

حتى إن الاعتراض لتلك الفئات ومواجهتها بالكلام لم يعد مجدياً؛ بل أصبح الاعتراض على تلك الفئات التي وصفها محمود مرزوق في الرواية بـ (الفاشيات والمافيات والعقائد الجامدة والمسمومة...) جريمة يوشى بأصحابها ويحاسب عليها القانون كما فعل بـ محمود المرزوق حينما أنكر على الدول والمجتمعات تقبل طروحات وأفكار تلك الفئات فاقنيد به إلى التحقيق ومساءلته عن اعتراضه للأفكار الجديدة.

وفي موضع آخر، تتجلى النظرة الوجودية، بما تنطوي عليه من عبثية وتشاؤم، إلى جانب شعور الاغتراب والعزلة لدى الأنا/ الذات المتمثلة في الشخصية الرئيسية (محمود المرزوق)، نشهدها من خلال مذكراتها على لسان الراوي (ماجد البغدادي):

"لم تطابق باريس صورتها في أحلامي .. وصلتها بعدما امّحت عن وجهها هالة الرومانسية الثورية .. نفص شباب ثورة الطلاب في العام ١٩٦٨ أيديهم من الشعارات النارية الطنانة. متكرين لأفكار التمرد والتغيير وكأنها من بقايا مرحلة المراهقة العابثة. ماضين في دروب الحياة الروتينية بحثاً عن فرص في العالم البرجوازي الواعد الذي عادوه بالأمس القريب. لقد رجعوا إلى بيت العائلة نادمين وعليهم أن يكفروا عن خطيئة فعلتهم المجنونة .. فقدت سرعة الوجودية بريقها، ومعها فكرة الطليعية. سارتر مات لتوّه، وذهب مريدوه كل في حال سبيله .. أما سيمون دي بوفوار العجوز فتجتر ذكرياتها بانتظار اللحاق برفيقها عند الرفيق الأعلى. فيما لم تعد ثمة حلقات ماركسية تثير زوابع مخفية بوجه سلطة رأس المال .. أصبت بخيمة أمل .." (سعد محمد رحيم، ٢٠١٩: ١٨١).

في هذا النص الروائي، تتجسد الوجودية بشكل مباشر من خلال وجود الأنا/ الذات، في المنبع الذي فيه الوجودية، أو منبع ولادة الفلسفة الوجودية عند الفلاسفة والمفكرين، وهو مدينة (باريس)، فما هي بنظرة عبثية واللاجدوى تنظر إلى الوجودية وأفكارها لتغيير العالم بأنها عاجزة عن التحول والتغيير حتى في منبعها، والانصراف السردى القائم بين السرد (الحكاية) وزمن السرد، وهي تسرد واقع حال الوجودية بعد موت روادها، والأنا/ الذات الواعية تتلاعب وتتحرك

باستمرار بين الزمن الماضي والحاضر، وانشطار زعزعات الزمن من خلال السرد المسترجع، وبنية النص السردية تحت القارئ على النظرة العبثية والتشاؤمية تجاه ما يدور في العالم المعاصر وما بعد الحداثة.

ومن خلال الذكريات والمدونات (الوسائل السردية)، تبدو الأنا الوجودية والشخصية الرئيسية من خلال الهيمنة السردية تبسط يدها على النص، بحيث يبدأ النص الروائي باستهلال مثير للجدل وجذاب، حينما يصف مدينة (باريس) بأوصاف مغايرة عن المؤلف بعد التغيرات التي طرأت على العالم، هذا الوصف شكل صورة فانتازية وفردوسية لجمال (باريس)، إلا أن هذه الصورة اصطدمت بالواقع، حيث لم تكن المدينة كما تعكس أحلامها.

وتعدّ مدينة (باريس) رمزاً للتحرر على مستوى الفكر والفلسفة والوجودية، وتبدو الأنا/ الذات الوجودية من خلال سردها لسيرة المدينة، بأنها على ارتباط بالزمن المرتبط بالوجودية، إضافة إلى ارتباطها مع الماضي العريق وتاركاً أحوال الحاضر والمعاصر على المدينة، وهذه الحالة هي بمثابة الجانب المأساوي للوجودية، فهي تشير بأن في عصر ما بعد الحداثة، اندثرت آثار الفكر والفلسفة والثقافة التي كانت تمثلها هذه المدينة على مستوى العالم، بعد ما كانت في السابق منبعاً للثقافة والحضارة.

كما أنّ أنا/ الذات الوجودية تحوّلت من وصف المكان (المدينة) إلى وصف سكانها، ومن خلال اللعبة السردية تصف المشهد، كما تلّخص عبر التقانات السردية ومنها تقنية (التلخيص) تلخص زمن الأحداث، ونلاحظ التنقل نحو وصف هؤلاء الثوار الذين قاموا بالثورة الفرنسية، بأن هؤلاء أصابوا بخيبة أمل، بل تبدو من خلال سردها، بأنهم تراجعوا عن فكرة الثورة ومبادئها، "متنكرين لأفكار التمرد والتغيير"، ويبدو نادمين عن ما فعلوا، لذلك تركوا الأفكار الشبابية الموجودة عندهم أثناء الثورة والنضال، بل وصل الأمر إلى "تفضّ شباب ثورة الطلاب في العام ١٩٦٨ أيديهم من الشعارات النارية الطنانة"، وبحسب وصفها لهم بأنهم ليسوا ثواراً وإنما "من بقايا مرحلة المراهقة العابثة".

وتلاشت الأفكار الوجودية للتقدم والتغيير، إلى "ماضين في دروب الحياة الروتينية بحثاً عن فرص في العالم البرجوازي الواعد الذي عادوه بالأمس القريب"، والآن بعد ما قامت الثورة للتغيير، فما هي العودة للدولة والنظام الرأسمالي، كأنهم رجعوا إلى نقطة صفر، وطرأت عليهم آثار الوجودية الانهزامية والتشاؤمية.

وهناك حالة من التضاد والاحتكاك في النص، بين ماضٍ حافلٍ بالثورة والانتصار، وحاضرٍ مليء بالانهزام والانكسار، وتتجلى هذه الحالات، بين "الشعارات النارية" وبين "في دروب الحياة

الأنا الوجودي المتفلسف في المتن الروائي عند سعد محمد رحيم

الروتينية"، إضافة إلى تصوير حياة ثوري حافل بـ"الأفكار التمرد والتغيير" إلى وصف حياة حديث ومعاصر "لقد رجعوا إلى بيت العائلة نادمين".

ثم تنتقل من وصف الثوار والسكان إلى الإمساك بأحوال الأفكار والفلسفة الوجودية، حينما فقدت ظلها الفاخر ورؤاها المرموقين على مستوى العالم، وتأثيرها الثقافي والحيوي للذات والهوية والبقاء "فقدت سرعة الوجودية بريقها"، وموازة مع فقدان الوجودية هيمنتها، ففكرة اقتداء العالم على مستوى الحضارة والثقافة والفكر لهذه المدينة أصبحت هشاً، هذه المدينة وشخصياتها وفلسفتها الوجودية وأفكارها لم تُعد لها تأثير على العالم "فكرة الطليعية"، فإذا كانت في القديم هي الطليعة والمقدمة، فالآن هي تراجع، وهناك حالة من خيبة الأمل هي التي سلطت على أحوال المدينة ومفكرها، بعد فناء الفيلسوف الوجودي (جان بول سارتر) من المشهد، وانحلال من تأثروا بأفكارها، وكذلك غاب النجم الساطع (سيمون دي بوفوار) عن سماء الفلسفة، وكذلك الفكر والأيدولوجيا (الرأس المالي) هي التي هيمنت على الواقع، وأدى إلى تراجع الماركسية التي نادت بها رؤاد الفلسفة قديماً، لذلك حالات اليأس والانحلال والانزهاض والتوتر والانكسار والعشوائية هي التي غلبت على أحوال هذه المدينة والعالم بأسره، وحالة من الاغتراب العبثي المرهون باللاجدوى الإنساني، مع التسلط للضوء على اللامعقولية المنتشرة صوب الوجود الإنساني، وتخلي الحياة عن معناها، إضافة إلى عبثية الخلق بدون غاية أو هدف، وجوهر الإنسان مرهون بالاغتراب الوجودي، والإنسان في مرحلة ما بعد الحداثة، يتجه نحو الاغتراب عن ذاته والآخرين والعالم، بل الإنسان الواعي يغترب عن الواقع، والواقع الموجود أو العالم يغترب منه أيضاً، والقصد من الاغتراب الوجودي، هو "ضرب من ضروب الوجود الزائف، غير الأصل وغير المشروع، الذي يسقط فيه الإنسان سقوطاً يفقد معه حريته، مناط إنسانيته وجوهر وجوده، ومن هنا كانت الحرية عند الوجوديين مرتبطة بالاغتراب ارتباطاً وثيقاً، فهي لا تكون، ولا تكشف عن معدنها الحقيقي، إلا من خلال عملية قهر الاغتراب المستمرة" (محمود رجب، ١٩٨٨: ١٨).

ويتضح في بنية النص الروائي ملامح ومدلولات المأساة والانكسار والسقوط الوجودي، حيث يبدو مثقلة بنزعات عبثية وعدمية، تنعكس في اختيار ألفاظه وصياغاته ذات الطابع التشاؤمي والتراجعي الانهزامي، من مثل: (امحت، نفص، متكرين، العابثة، عادوه بالأمس القريب، رجعوا، نادمين، المجنونة، فقدت، مات لتوه، العجوز فتجتر ذكرياتها، أصبت بخيمة أمل).

وتجدر الإشارة، بأن هناك تحولاً للظواهر والأفكار الوجودية عند الأنا/ الذات والشخصية الرئيسية (محمود المرزوق) نحو مأزق آخر والمتمثل باللاجدوى واللامعقول والعبثية السوداء، حينما دون في مذكراته السردية:

"ما يحدث هو اللامعقول بعينه، كما قال كاميران عادل .. لا شيء منطقي في هذه البلاد .. وأظن أن مؤلفي مسرحيات العبث ومخرجيها سيكونون مسرورين وهم يرون أو يسمعون عما يجري .. لكأن بعض البشر أصيبوا بمس مشؤوم .. لكأن بعضهم تخذروا ويرون هذه الفوضى شيئاً طبيعياً ... الدولة في انهيار والسلطة اليوم للعشيرة والطائفة، والجماعات المسلحة والمافيات" (سعد محمد رحيم، ٢٠١٩: ٥٢).

وهنا نلاحظ الانصراف السردى بسبب التقارب الزمني بين السرد والقصة، والوضع المأساوي والفوضوي في العراق بعد الاستعمار والاحتلال الأمريكي، الذي أدى بالأنثى/ الذات الوجودية تفرض نظرتها ووجوديتها، وإذا كانت في القديم ذلك اللا معقول واللا جدوى مجرد أفكار، فهي تعمل على جعلها حقيقية عبر تشابه الوضع القائم والحاضر بمؤلفي المسرحيات ذات الصبغة العبثية، والوظيفة السردية تكمن هنا خلف العبثية الموجودة على الساحة العراقية، إضافة إلى وعي سردي مهيم عند الأنثى/ الذات في وصفها لحال البلاد.

والإنسان المنقل بالآفكار الوجودية والمتفلسفة، يحاول الهروب من الأفكار التي تقيد حريته، سواء من قبل الآخرين أو المجتمع، لذلك فهو يسعى لنيل الحرية، وفي هذه الحالة المأزومة، يواجه المفارقة على النواحي العديدة، ومنها الصراع مع المجتمع أو التحدي، أو الاستسلام له والعيش في التناقض.

والخطاب السردى في هذا النص الروائي، مشحون بانعكاس الرؤية الوجودية التي تقوم على تجلي معاناة الإنسان المعاصر، وتلك المعاناة لا تكمن فقط من القيود الخارجية، بل هناك صراع داخلي بينه وبين أفكاره، والإنسان العراقي على المستوى الداخلي يتجاوز القسوة والبراءة وحالات التشظي، كما يقدم هذه الحياة المأساوية على شكل لوحة عميقة تصوّر حياة الإنسان وتتضمن الوجودية على صعيد التجربة والجوهر.

يواصل الراوي الباحث، وهو لسان حال الشخصية الرئيسية (محمود المرزوق) سرد حكايتها، حينما تعيش بين أناس ذوي آراء وتصورات مختلفة، بين الذين لهم النظرة العبثية والتشاؤمية حول الواقع الموجود، وبين من يقبلون بالواقع الراهن، إضافة إلى سرده لواقع ما بعد الاحتلال (ما بعد الاستعمار) في العراق بعد انهيار النظام، والفوضى العارم في المجتمع.

وبالعودة إلى هاجس الواقع المتأزم في العراق، والمكان المنحصر والممزق بفعل الاحتلال، هذه الحالة أدت بها إلى أن الانتماء إلى هذا البلد أصبح حائلاً، ولكن مع ذلك، فالأنثى/ الذات رغم الظروف المسيطرة من قبل الاحتلال (الاستعمار وما بعد الاستعمار)، إلا أنها لا تستطيع أن تقف مكتوفة الأيدي وتتقيد بالقيود، وإنما بنظرة واعية ومستبصرة فهي تسعى لتغيير وإعادة

الأنا الوجودي المتفلسف في المتن الروائي عند سعد محمد رحيم

التشكيل رغم سقوطها وحلمها؛ لأن أصلاً حضور الإنسان في هذا العالم "هو سقوط للمكانيات. والموجود الساقط يتميز بالثرثرة، والغموض، والاستطلاع. والاستطلاع ميل للوجود نحو إمكانية الرؤية، رؤية الآنية في ظهورها في العالم. إنه شعور بالحاجة إلى الوثوب إلى الأمام نحو ما لم يشاهد بعد ... وهذا السقوط ليس أمراً شائناً. بل هو ضروري لتحقيق الامكانيات. صحيح أنه ضياع لامكانيات لم تتحقق في نفس الوقت الذي هو تحقيق لوجه من أوجه هذه الامكانيات، ولكنه هو الطريقة الوحيدة للحضور - لدى - العالم" (عبدالرحمن بدوي، ١٩٨٠: ١٠٣).

ومن النصوص الروائية أيضاً، التي تجسدت فيها الوجودية وأسئلتها الفلسفية قول (سعد محمد رحيم) على لسان إحدى شخصياته:

"كأنني جئت لأتحرى. كأنني جئت لأكشف واكتشف. وقطعاً أنا ملغوم بأسئلة لا تعد. أسئلة تتناسل وتفرض سطوتها. تحير وتربك، لكن ما ستعجبين له هو أنني، في نهاية المطاف، ربما أبغي النسيان. أن أدخل ذاكرة الورق والحاسوب. أن أدخل ذاكرة كل رجل، وكل امرأة، وكل جيل، وأن أنسى.. أن تحضر الرواية وأن أتوارى أنا. وسؤالي الآن يا كلوديا هو؛ أين تنتهي لعبة القدر الماكرة، وأين يبدأ فعل الإنسان؟ فمنذ ماتت حنان، ومات خالد غدا الوجود أشد غموضاً، وانهاالت الأسئلة؛ (ما الحب؟ ما الحياة؟ ما الإنسان؟ ما الموت؟ وأيضاً، ما العمل؟ على أية هاوية نقف نحن معشر البشر؟ ما هذا الذي يجمعنا، وما ذاك الذي يفرقنا؟ وكم هي مسافة الأوهام في هذا كله؟ ولماذا نحزن ونتألم إذا كان كل ما فينا وحولنا صائر إلى التبدد والعدم؟ ولماذا هذا التشبث العنيد والبطولي بالحياة على الرغم من كل شيء؟" (سعد محمد رحيم، ٢٠١٢: ٧١-٧٢).

تطرح شخصية (الأنا) المتمثلة بالراوي الوجودي والمشارك (سامر)، مجموعة من الأسئلة القلقة التي تشغل ذهنه بين الحين والآخر، هي الأسئلة تبدأ من الذات وتنتهي في الكون، وهذه الأنا/ الذات، تعدّ بأنها تحتكر الكلمة داخل هذه الرواية، فهي في آن واحد الراوي والشخصية الرئيسية، وكذلك، نلاحظ تسلط الضمير المتكلم والصوت السردى المهيمن على النص الروائي من خلال الصوت السردى للراوي والشخصية الرئيسية والأنا/ الذات الوجودية.

إن الأنا/ الذات تعاني من القلق الوجودي، ومصدر هذا القلق يستحضر من الاحساس الداخلي بالقلق، وهناك حالة من التشظي والغموض، واللايقين الوجودي المترسخ، والفوضى الذهني والفكري هو الذي حفز المتكلم كي يظهر على شكل باحث محقق، ويسعى للحصول على الإجابات، و يجد حاله باحثاً من خلال طرح الأسئلة الخاصة بالوجود والهوية والحياة، وهذه

الأسئلة المطروحة هي مفتاح الأنا للتبئير السردى حول الوجود الإنسانى برمته، إضافةً إلى الاستباق السردى والتنبؤ بالأحداث عند الأنا/ الذات الوجودية.

إن الأنا/ الذات الوجودية من خلال النص السابق تحاول تشكيل الحيلة السردية المنطوية لتغلل في الأسئلة التي تكمن وكذلك للدخول في الخفايا وهالات الخوف والشك من قبل الإنسان العراقى والشرقى، المثقل جراء ويلات الحروب المفروضة وهيمنة الاستبداد، تلك الحالات التي ساهمت في تشكيل الاغتراب الفانتازى في وجودها، والقلق الوجودى المهيمن، فهو يعدّ بأنه معضلة وجودية (انطولوجية) التي تنطوي عليها سرد ما بعد الحداثى.

وحسب النص فإن هناك أسئلة غير محددة مخزونة ومتراكمة، وحتى بناء الخطاب السردى مرهون بتلك التساؤلات، وبعضها مثيرة وتحتاج إلى توقف كثير وحيرة وتأمل، وعلاقتها المزعزعة مع العالم الذي يحيط بها أو يحاصرها، ووجود تلك التساؤلات بمثابة الوسيلة التي تحقق التفاعل بدرجة عالية وحالة من الدهشة والانتظار والتيقظ عند القارئ، وكذلك ولادة التفاعل الهادف والبنائى من قبل المتلقى.

وهذه الأنا/ الذات تنطلق من وعيه الذاتى إلى الوعي الجماعى، من الأسئلة المختصة والمتراكمة في ذهنه نحو الأسئلة الوجودية والإنسانية المشتركة والتي تدخل ضمن وعي الآخرين والذاكرة الجمعية، أي الهروب من الأسئلة الوجودية التي دفعت الأنا نحو التلاشي والاحتواء في الرواية "أن أدخل ذاكرة الورق والحاسوب"، والشخصية السردية (الفاعل السردى) تسعى للفرج أو الانقاذ بل تبحث عن الملجأ، وهذا المأوى ينبثق في الكتابة، ومنها كتابة الرواية عندها.

فهذه الأنا/ الذات تلجأ إلى استخدام الكتابة كوسيلة لنشر أفكارها وطروحاتها الفلسفية والوجودية والفكرية، في سعي الأنا/ الذات وراء تلك الفرضيات المطروحة، كما يعمم عبر تلك الأسئلة عن حالة التشابك الفكرى التي هيمنت سطوتها على الذات/ الأنا بعد القراءة المتأنية، إضافةً إلى نتيجة الحالة اللايقينية والعدمية الراسخة في الأذهان، والبحث عن المعنى للوجود والموقع للهوية والماهية، وكذلك تبني تلك الأسئلة حالة اليقظة والوعي عند المتلقى، والصوت السردى الغالب من قبل الراوى المشارك في النص السردى، هو البحث عن الأسئلة المطروحة الوجودية.

ونجد أن في ذهن الراوى تتراكم الأسئلة، لذلك هو يحاول إشراك القارئ في إيجاد حلول ناجعة لتلك الأسئلة الوجودية، وإذا كانت الحياة تتسم بالغموض قبل موت هؤلاء، فإن الراوى يرى بأن حادثة موت حبيبته (حنان) وصديقه (خالد) جعلت الحياة والعالم أكثر غموضاً، لذا ينظر إليها بمثابة تحفيز وجودى سردي للبحث عن الذات والعالم والأسئلة الموجودة خلف حياة الإنسان ومصيره، وهذه الحادثة دفعته لطرح تلك الأسئلة المشتركة، ولجأ الراوى (الأنا/ الذات) إلى تقنيات

الأنا الوجودي المتفلسف في المتن الروائي عند سعد محمد رحيم

ما بعد الحداثة كتقنية الرواية داخل الرواية واستخدام وسليتي السرد (الورقة والحاسوب) للتعبير عن تلك الفجوات والفراغات الموجودة في الوعي.

ومروراً بالأزمات الموجودة على الساحة العراقية أثناء الاحتلال وما بعده، فإن الأنا/ الذات الوجودية لا تقدم إجابات واضحة عن تلك الأسئلة؛ بل عن طريق الحوار الجاري بينه وبين الأخرى العشيقة الغربية (كلوديا)، فهي تحاول أن يخرج تلك الأسئلة المتعلقة بالحياة والوجود من ذهنها ووعيها الذاتي، لإشراك القارئ الفعلي وإيقاظه، فهو أمام تلك الأسئلة المتحيرة، وعليه أن يبحث عن إجابات لتلك الفرضيات، كما يستكشف الراوي معنى الحياة والمصير والأقدار والموت في ظل طرحه للأسئلة الذاتية المختبئة في وعيه الفردي:

"ما الحب؟ ما الحياة؟ ما الإنسان؟ ما الموت؟ وأيضاً، ما العمل؟".

فأصلاً (الأنا/ الذات) في الواقع ما بعد الحداثي هي ذات "منقسمة أو مفتتة إن لم تكن قد ماتت، والوعي أصبح وعياً فصامياً، بينما تحول الشيء أو الموضوع إلى صورة أو شبيه لذاته" (أحمد حسان، ١٩٩٤: ١١).

ومن التشكيك الفردي إلى الاستفسارات والتساؤلات حول الوعي الجماعي:

"على أية هاوية نقف نحن معشر البشر؟ ما هذا الذي يجمعنا، وما ذاك الذي يفرقنا؟ وكم هي مسافة الأوهام في هذا كله؟".

وينتهي النص بالقضايا الفلسفية والوعي الوجودي هذه المرة عن المصير والأقدار والعدمية والفناء، إذ تسأل:

"ولماذا نحزن ونتألم إذا كان كل ما فينا وحولنا صائر إلى التبدد والعدم؟ ولماذا هذا التشبث العنيد والبطولي بالحياة على الرغم من كل شيء؟".

ومن خلال تلك الأسئلة تحوّل الروائي من ثبوتية الهوية الحداثية إلى مرحلة ما بعد الحداثة ومنها الحالة اللايقينية التي برزت في مرحلة بعد الاستعمار، والتي تتسم الهوية فيها بأنها هوية غير مستقرة ومنعدمة، وهذه الحالة انعكست في مجمل نصوصه الروائية.

ونلاحظ تلك الأسئلة الوجودية المطروحة في روايات الروائي، أنها شبيهة بتلك الأسئلة التي طرحها الروائي الروسي (ليو تولستوي)، حينما وصل إلى الخمسين من عمره، فهو يطرح القضايا والأسئلة الوجودية والفكرية: "ما هي الحياة؟ لماذا يجب علي أن أعيش؟ لماذا يجب علي أن أفعل أي شيء؟ هل هنالك أي معنى في الحياة في امكانه أن يقهر الموت الذي لا يمكن تجنبه؟" (كولن ولسن، ٢٠٠٤: ١٧٥).

فروية الروائي (سعد محمد رحيم) مليئة بالتساؤلات والفرضيات الوجودية والفلسفية التي تعبر عن الإرادة الإنسانية المتنازعة والمتشظية؛ بل هذه التساؤلات الذاتية من قبل الأنا والراوي المشارك (سامر) في رواية (ترنيمة امرأة.. شفق البحر) عن الأنا وعلاقتها مع العالم والآخرين، موجودة بنفس الأسلوب من طرح الأسئلة من قبل الشخصية الرئيسية (بيتر بيزوكوف) في رواية (الحرب والسلام) للروائي الروسي (تولستوي)، وهي رواية تعكس الأسئلة الوجودية التي تحاول سرد الأحداث لتجيب عنها "كولن ولسن، ٢٠٠٤: ١٧٥).

كما أن الأسئلة الوجودية المشتركة والمنتشرة بصيغة وجودية، فإنها أيضاً مطروحة بشكل آخر على لسان الفيلسوف الوجودي الدنماركي (سورين كير كجارد)، حينما نقل لنا الأسئلة التي تدور في ذهن الشاب في واقع حياة مأساوي، حينما قال: "من أنا؟ وكيف أتيت إلى هذا العالم؟ ولماذا لم تتم استشاراتي؟ وإذا كنت منساقاً لأن أشارك العالم فأين الموجه لي؟ وإذا لم يكن ثمة موجه أو مرشد فأين يجب أن أدع شكواي؟ هل أنا مذنب؟" (علي عبدالمعطي محمد، ١٩٨٤: ٤٦٨).

الخاتمة

- ١- تتجذر التساؤلات الفلسفية والوجودية بشكل بارز وملحوظ في نسيج روايات الكاتب المدروس، فلا نجد رواية من رواياته تخلو من هذه الملامح والفرضيات.
- ٢- معظم الشخصيات الروائية التي يسيطر عليها التساؤل الفلسفي، هي شخصيات مثقفة تتصارع مع الذات والعالم والآخر والمجتمع.
- ٣- تجلّت الظواهر الوجودية في خطاب الشخصيات الروائية المثقفة والمتنوعة، تلك التي تأثرت بالحروب التي شهدتها العراق وما أعقبها من وقوعه تحت هيمنة الاحتلال وسطوته.
- ٤- ينبع القلق الوجودي من الذات الإنسانية، بوصفها المصدر الرئيس للمشاعر والأحاسيس والانفعالات والنزوعات.
- ٥- هذا القلق المزعوم لا يأتي اعتباطاً، بقدر ما هو محاط بحالات الاغتراب والقلق والدهشة والسأم واختيار العزلة.
- ٦- الحرية الوجودية هي التي اعطت منبراً حراً للقلق الوجودي والتصور الوجودي، والوجودية أصلاً ولدت مصاحباً للنزعة التشاؤمية للحياة والعالم.

قائمة المصادر والمراجع

- ١- ترنيمة امرأة.. شفق البحر، سعد محمد رحيم، دار فضاءات للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠١٢م.
- ٢- تيارات فلسفية حديثة، علي عبدالمعطي محمد، دار المعرفة الجامعية، مصر، ١٩٨٤م.
- ٣- الدين والظلم الأنطولوجي، د. عبدالجبار الرفاعي، دار التوزيع للطباعة والنشر، لبنان- بيروت، ط١، ٢٠١٦م.

الأنا الوجودي المتفلسف في المتن الروائي عند سعد محمد رحيم

- ٤- الزمان الوجودي، عبدالرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية- مصر، ط٢، ١٩٥٥م.
- ٥- ظلال جسد .. ضفاف الرغبة، سعد محمد رحيم، المؤسسة العامة للحي الثقافي كتارا، الدوحة- قطر، ط١، ٢٠١٧م.
- ٦- الاغتراب- سيرة المصطلح، د. محمود رجب، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م.
- ٧- غسق الكراكي، سعد محمد رحيم، دار سطور للنشر والتوزيع، بغداد، ط٢، ٢٠١٧م.
- ٨- فسحة للجنون، سعد محمد رحيم، دار سطور للنشر والتوزيع، بغداد، ط١، ٢٠١٨م.
- ٩- في نظرية الرواية- بحث في تقنيات السرد، د. عبدالملك مرتاض، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٩م.
- ١٠- قراءة نقدية في وجودية سارتر، على حنفي محمود، المكتبة القومية الحديثة، مصر - طنطا، ١٩٩٦م.
- ١١- القلق والغضب من منظور وجودي، ايمي فان دويرتسن، ت: دينا عفيفي و مازن المريح، دار مزيج للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٢٣م.
- ١٢- اللانتمى، كولن ولسن، ت: علي مؤلا، دار الآداب، بيروت- لبنان، ط٥، ٢٠٠٤م.
- ١٣- مدخل إلى ما بعد الحداثة، أحمد حسان، وزارة الثقافة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٩٤م.
- ١٤- المعجم الفلسفي، مراد وهبه، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، مصر- القاهرة، ط٥، ٢٠٠٧م.
- ١٥- المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، د. جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت- لبنان، ١٩٨٢م.
- ١٦- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبه وكامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.
- ١٧- مقتل بائع الكتب، سعد محمد رحيم، دار سطور للنشر والتوزيع، بغداد، ط١٣، ٢٠١٩م.
- ١٨- الموت في الفكر الغربي، جاك شورون، ت: كمال يوسف حسين، عالم المعرفة، الكويت، د. ط، ١٩٨٤م.
- ١٩- النار في التحليل النفسي، غاستون بشلار، ت: نهاد خياطة، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ٢٠- الوجودية، جون ماكوري، ت: د. إمام عبدالفتاح إمام، دار الثقافة للنشر والتوزيع، مصر، ١٩٨٦م.
- ٢١- الوجودية منزع إنساني، جان بول سارتر، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان- بيروت، ط١، ٢٠١٢م.

List of Sources and References

- * ١A Woman's Hymn... Sea Twilight* (Tarnimat Imra'a... Shafaq al-Bahr), Saad Mohammed Raheem, Fadaat Publishing and Distribution, Amman, 1st ed., 2012.
- * ٢Modern Philosophical Currents* (Tayyarat Falsafiyya Haditha), Ali Abdel-Moati Mohammed, University Knowledge House (Dar Al-Ma'rifa Al-Jami'iyya), Egypt, 1984.



- * -٣Religion and Ontological Thirst* (Al-Din wa al-Zama' al-Ontoloji), Dr. Abdul-Jabbar Al-Rifa'i, Dar Al-Tanweer for Printing and Publishing, Beirut, Lebanon, 1st ed., 2016.
- * -٤Existential Time* (Al-Zaman al-Wujudi), Abdul-Rahman Badawi, Al-Nahda Al-Masriya Library, Egypt, 2nd ed., 1955.
- * -٥Shadows of a Body... Banks of Desire* (Zilal Jasad... Difaf al-Raghba), Saad Mohammed Raheem, Katara Cultural Village Foundation, Doha, Qatar, 1st ed., 2017.
- * -٦Alienation: Biography of the Term* (Al-Ightirab: Sirat al-Mustalah), Dr. Mahmoud Rajab, Dar Al-Ma'arif, Cairo, 3rd ed., 1988.
- * -٧Dusk of the Cranes* (Ghasaq al-Karaki), Saad Mohammed Raheem, Sutoor Publishing and Distribution, Baghdad, 2nd ed., 2017.
- * -٨A Space for Madness* (Fus-ha lil-Junun), Saad Mohammed Raheem, Sutoor Publishing and Distribution, Baghdad, 1st ed., 2018.
- * -٩On Novel Theory: A Study of Narrative Techniques* (Fi Nazariyat al-Riwaya: Bahth fi Taqniyat al-Sard), Dr. Abdel-Malik Mortad, National Council for Culture, Arts and Letters, Kuwait, 1989.
- * -١٠A Critical Reading of Sartre's Existentialism* (Qira'a Naqdiyya fi Wujudiyyat Sartre), Ali Hanafi Mahmoud, Modern National Library, Tanta, Egypt, 1996.
- * -١١Anxiety and Anger from an Existential Perspective* (Al-Qalaq wa al-Ghadab min Manzur Wujudi), Emmy van Deurzen, Trans.: Dina Afifi and Mazen Al-Murayeh, Mazeej Publishing and Distribution, Cairo, 1st ed., 2023.
- 12- *The Outsider*, Colin Wilson, trans. Ali Mawla, Dar Al-Adab, Beirut, Lebanon, 5th ed., 2004.
- * -١٢Introduction to Postmodernism*, Ahmed Hassan, Ministry of Culture, General Organization of Cultural Palaces, 1994.
- * -١٤Philosophical Dictionary*, Mourad Wahba, Dar Qubaa Al-Haditha for Printing, Publishing, and Distribution, Cairo, Egypt, 5th ed., 2007.
- * -١٥Philosophical Dictionary (Arabic, French, English, and Latin Terms)*, Dr. Jamil Saliba, Dar Al-Kitab Al-Lubnani, Beirut, Lebanon, 1982.
- * -١٦Dictionary of Arabic Terms in Language and Literature*, Magdi Wahba and Kamel Al-Muhandis, Librairie du Liban, Beirut, 2nd ed., 1984.
- * -١٧The Killing of the Bookseller*, Saad Mohammed Rahim, Dar Sutoor for Publishing and Distribution, Baghdad, 13th ed., 2019.



- * -١٨ Death in Western Thought*, Jacques Choron, trans. Kamal Youssef Hussein, Alam Al-Ma'rifa, Kuwait, n.d., 1984.
- * -١٩ The Psychoanalysis of Fire*, Gaston Bachelard, trans. Nihad Khayyata, Dar Al-Andalus for Printing, Publishing, and Distribution, Beirut, Lebanon, 1st ed., 1404 AH / 1984 CE.
- * -٢٠ Existentialism*, John Macquarrie, trans. Dr. Imam Abdel-Fattah Imam, Dar Al-Thaqafa for Publishing and Distribution, Egypt, 1986.
- * -٢١ Existentialism Is a Humanism*, Jean-Paul Sartre, Dar Al-Tanweer for Printing, Publishing, and Distribution, Beirut, Lebanon, 1st ed., 2012.

